التعريب

لم يمرّ بالكاتب العربيّ عصرٌ كانت الكتابة فيهِ اصعب مزاولةً ولا اوعر سبيلاً واكثر عقباتٍ من العصر الحالي ولا اتى على اللغة عهدٌ هي فيهِ اضيق مجالاً واشدّ عقماً بمطالب اهلها من هذا العهد . وذلك ان لغة كل قومٍ انما هي عبارةٌ عما يدور بينهم من المعاني والاغراض وما يقع تحت حسّهم من الاشباح وينطبع في مخيّلاتهم من الصور لا تعدو ما هم فيهِ من ذلك او ما شاكلهُ . ولا يُنكَر ان اللغة لا تثبت على حالٍ واحد فهي ابداً عُرضةٌ للتغيير تارةً والزيادة او النقص اخرى تبعاً لاحوال اهلها وتنقُّلهم في الاطوار الا ان ذلك انما يتمّ مع الايام ويقع الشيء منهُ بعد الشيء جرياً على الحال الطبيعي في كل موجود ومن قابل حال اللغة اليوم بما كانت عليهِ لعصر الجاهلية ثم ما كانت عليهِ بعد ذلك لعهد الدُوَل العربية قضى العجب مما تقلب عليها من التفاوت والاختلاف . بيد أن هذه الاطوار الثلاثة كانت متداخلةً بعضها في بعض لا حدّ بينها ولا يتعين لاحدها مفصلٌ يبتدئ منهُ او ينتهي اليهِ ولم يكد اهل اللغة يشعرون بما يقع من ذلك لتراخي حدوثهِ وجريهِ في خفآء وتؤدة فمثَل اللغة في ذلك مثَل الانسان يشبّ ويهرم ولا يشعر من نفسهِ بتبدُّل في بنيتهِ ولا قواهُ . ولكنك اذا نظرت الى حال الامة العربية في هذا العهد وما انتشر بينها من التمدن الغربي وجدت انها قد افضت الى حالٍ انتقلت فيها عن أُفقها الاول دفعةً واحدة وهجمت على تمدنٍ فجآئي قد نبت في غير ارضها ونمى في غير جوّها ولم

يبلغ اليها الا وهو على تمام أشدّهِ وكمال كيانهِ فكان انتقالها اليهِ والحالة هذه اشبه بالطفرة ووجدت بين ايديها من انواع الملبس والمفرش والماعون وادوات الترف والزينة ومصطلحات العلم والتجارة والصناعة والسياسة وفنون الاحاديث والتصورات وغير ذلك ما هو مباينٌ لما عندها واصبح الكاتب منها مضطرًّا الى وضع مئاتٍ بل آلافٍ من الاسمآء التي لا يجد لها رديفاً في لسانهِ ولا في وسعهِ نقل تلك الالفاظ بصورتها الى لغتهِ لشدة التباين بين طبيعة هذه اللغة ولغات اولئك الاقوام لان الالفاظ فيها محصورة الاوضاع محدودة الصيغ لا تقبل الزيادة عليها الا منها ولا يمكن ان تُدَسّ اللفظة الاجنبية بينها الا بعد ان تجانسها وتؤاخيها

ولا يخفى ما في مزاولة هذا العمل الطويل من الصعوبة وبُعد المنال اذ لا يُتصوَّر من كل كاتب ان يكون محيطاً بالفاظ اللغة عالماً باوضاعها واشتقاقاتها ولا في سعة كل منشئٍ ان يتفرغ لتقليب صحف اللغة وتتبع موادّها حتى يتولى وضع الفاظٍ لهذه الاشياء بنفسهِ وما كان احوجنا الى مجمعٍ لغوي يوكل اليهِ البحث في هذه الاوضاع ويناط بهِ احياء اللغة والحاقها بسائر لغات اهل العصر بل احياء الامة نفسها اذ لا حياة لامةٍ الا بلسانها كما اوضحناهُ في غير هذا الموضع. وهذا ما طالما حثثنا عليهِ همم العلماء من اهل هذا القطر لعلمنا انهُ محط رحال العربية ومنبثق انوار علومها لو صادفنا منهم اذناً واعية ولكن القوم في شغلٍ شاغل من الامر السياسيّ الذي عرفتهُ بل الحلم المضحك المبكي الذي تشاغلوا بهِ في هذه الايام وكان مثلهم فيهِ مثَل من اهتمّ بتسوير ارضهِ وجدران بيتهِ متداعية .....

ومهما يكن هناك فان الامر قد اصبح اجلّ من ان يُتغاضى عنهُ لان هذه الالفاظ تزداد يوماً عن يوم بما يتوالى من المخترعات والمكتشفات على ما نراهُ كل يومٍ في جرائد القوم ومجلاتهم فاذا لم نبادر الى سنّ طريقةٍ يمكن بها وضع الفاظٍ لهذه المستحدثات او سبك الفاظها في قالبٍ عربي لا تتشوه بهِ هيئة اللغة لم نلبث ان نرى الاقلام قد تقيدت عن الكتابة في هذه الامور بتـةً او اصبح اكثر اللغة اعجمياً الا اذا طبنا نفساً عن علوم العصر ومصنوعاتهِ ورجعنا بحضارتنا الى الحدّ الذي كنا عليهِ منذ خمسين سنةً او فوقها وهي المنزلة التي يحاول بعض القوم ان يردّونا اليها ونعم المصير

ولقد تواترت علينا في هذه الايام مكاتبات بعض الاخوان من مشتركينا الادبآء يسألوننا الخوض في هذا البحث لما رأوا من الضرورة الماسّة اليـهِ وهو البحث الذي كنا شرعنا فيهِ في مجلة البيان تحت عنوان اللغة والعصر ثم انقطعنا عنهُ للسبب الذي ذكرناهُ في محلّهِ . وهو يتضمن عدة مباحث منها الاشتقاق وقد استوفينا ما حضرنا من الكلام عليهِ هناك ومنها المجاز والنحت وسنعود اليهما ان شآء الله ومنها ما نحن فيهِ من امر التعريب نقدّمهُ في هذا الموضع اجابةً للطلب والله المستعان

واعلم ان التعريب شيئـان احدهما تعريب الكلمات المفردة وهو ما تقدم ذكرهُ ومرجعهُ الى اللغة وفيه كلامنـا الآن والآخر تعريب الجُمَل باعتبار تركيبها ومؤدّاها وهو يرجع الى الصيغ البيـانية وسنفرد لهُ فصلاً مخصوصاً ان شآء الله

وتعريب الكلمة المفردة قد يكون بما يرادفها من الكلم العربية ويسمى

بالتعريب توسعاً وقد يكون بادخال الكلمة الاعجمية نفسها في الاستعمال ونظمها بين الالفاظ العربية حتى تكون كانها منها وهو المفهوم من اصطلاحهم كما سنذكرهُ . قال في الصحاح وتعريب الاسم الاعجمي ان تتفوه بهِ العرب على منهاجها تقول عرّبتهُ العرب وأعربتهُ ايضاً . وقال في المصباح والاسم المعرَّب الذي تلقتهُ العرب من العجم نكرةً نحو ابريسم ثم ما امكن حملهُ على نظيرهِ من الابنية العربية حملوهُ عليهِ وربما لم يحملوهُ على نظيرهِ بل تكلموا بهِ كما تلقوهُ . . وان تلقوهُ علماً فليس بمعرَّب وقيل فيهِ اعجميٌّ مثل ابرهيم واسحق . اه وفي هذا الاخير كلامٌ سيأتي . وقال في المزهر قال ابو حيّان في الارتشاف الاسمآء الاعجمية على ثلاثة اقسام قسمٌ غيرتهُ العرب والحقتهُ بكلامها فحكم ابنيتهِ في اعتبار الاصليّ والزائد والوزن حكم ابنية الاسمآء العربية الوضع نحو درهَم وبَهرَج وقسمٌ غيرتهُ ولم تلحقهُ بابنية كلامها فلا يُعتبَر فيهِ ما يُعتبَر في القسم الذي قبلهُ نحو آجرّ وسيسنْبَر وقسمٌ تركوهُ غير مغير فما لم يلحقوهُ بابنية كلامهم لم يُعدّ منها وما الحقوهُ بها عُدّ منها مثال الاول خُراسان لا يثبت بهِ فُعالان ومثال الثاني خُرَّم أُلحق بسلَّم وكُرْكُم أُلحق بقُمقُم . اه

وفيهِ قال ائمّة العربية تُعرَف عجمة الاسم بوجوه احدها النقل بان ينقل ذلك احد ائمة العربية . الثاني خروجهُ عن اوزان الاسمآء العربية نحو إبْرَيْسَم . الثالث ان يكون اولهُ نون ثم رآء نحو نرجس . الرابع ان يكون آخرهُ زاي بعد دال نحو مهندز . الخامس ان يجتمع فيهِ الصاد والجيم نحو الصولجان والجِصّ . السادس ان يجتمع فيهِ الجيم والقاف نحو المنجنيق .

السابع ان يكون خماسياً او رباعياً عارياً من حروف الذلاقة وهي البآء والرآء والفآء واللام والميم والنون . انتهى باختصار وفي بعض ما ذكر خلاف . وزاد صاحب شفآء الغليل بعد الرابع ان تجتمع فيه السين والذال نحو ساذَج معرَّب ساده بالمهملة وسذاب معرَّب سداب

وفي المزهر ايضاً وقال بعضهم الحروف التي يكون فيها البدل في المعرَّب عشرة خمسة يطَّرد ابدالها وهي الكاف والجيم والقاف والبآء والفآء وخمسة لا يطَّرد ابدالها وهي السين والشين والعين واللام والزاي (كذا وفي شفآء الغليل والرآء ولعل الصواب والذال) . فالبدل المطّرد هو في كل حرفٍ ليس من حروفهم كقولهم كُربَج الكاف فيهِ بدلٌ من حرف بين الكاف والجيم فابدلوا فيهِ الكاف او القاف نحو قُربَق او الجيم نحو جورب . وكذلك فِرند هو بين البآء والفآء فرّةً تُبدَل منهُ البآء ومرّةً تُبدَل منهُ الفآء . واما ما لا يطّرد فيهِ الابدال فكل حرفٍ وافق الحروف العربية كقولهم اسماعيل ابدلوا السين من الشين والعين من الهمزة [1] ... وقال ابو عُبيد في الغريب المصنَّف العرب يعرّبون الشين سيناً يقولون نيسابور وهي

---

(١) من الغريب انهم اجمعوا على ان اسماعيل اصلهُ اشمائيل وانهم ابدلوا من الهمزة عيناً ذكرهُ سيبويه والجواليقي ونقلهُ السيوطي في المزهر وغيرهُ . وذكر صاحب القاموس ان معناهُ مطيع الله وزاد صاحب تاج العروس انهُ بالسريانية قال ولذا اي لكون معناهُ مطيع الله يكنى من كان اسمهُ اسماعيل بابي مطيع . وفي شفآء الغليل قال السبكي و يستحب لمن رُزق ولداً في الكبر ان يسميهُ اسماعيل اقتداءً بالآية ولأن معناهُ عطية الله اه . والصواب ان الاسم عبريّ الاصل ولفظهُ يشماعيل وهو مركبٌ من كلمتين يشماع اي يسمع وايل (بالامالة) وهو اسم الله . وكم لهم من امثال هذه

نيشابور وكذلك الدشت يقولون دست فيبدلونها سيناً (١) . انتهى المقصود منهُ

وقال في شفآء الغليل اعلم انهم قد يغيرون الكلمة الاعجمية فيبدلون

التخرصات كقول السهيلي اسم جبريل عليهِ السلام سرياني ومعناهُ عبد الرحمن او عبد العزيز . قال في تاج العروس وذكر الجوهري والازهري وكثير من الائمة ان جبر وميك (اي من جبرائيل وميكائيل) بمعنى عبد وايل اسم الله وصرّح به البخاري ايضاً قال وردّهُ ابو عليّ الفارسي بان ايل لم يذكرهُ احدٌ في اسمآئهِ تعالى . ثم قال قال شيخنا ونقل عن بعضهم ان ايل هو العبد وان ما عداهُ هو الاسم من اسمآء الله كالرحمن والجلالة وايدهُ باختلافها دون ايل فانهُ لازم كما ان عبد دائماً يذكر وما عداهُ يختلف في العربية وزادهُ تأييداً بان ذلك هو المعروف في اضافة العجم وقد اشار لمثل هذا البحث عبد الحكيم في حاشية البيضاوي . اه وهو من غريب الجرأة في البحث . والصحيح ان ايل اسم الله بالعبرية كما تقدم قريباً وجبر بمعنى رجل فمعنى جبرائيل رجل الله وميكائيل او ميخائيل معناهُ من مثل الله لان مي بمعنى من الاستفهامية والكاف بعدها هي كاف التشبيه منهم من يلفظها كافاً ومنهم من يلفظها خآء . واما ما ذكرهُ عن الاضافة عند العجم فهو في غير العبرية وانما الاضافة فيها على حكمها في العربية

(١) وبقي هنا العكس وهو ابدال الشين من السين كما في فيلبش وبرشاوش وشيشرون وغيرها واصلها بالسين المهملة . وهذان الحرفان كثيراً ما يترادفان بين العربية وبين العبرية والسريانية كما في الشفة والشمال وشهدَ وشنئَ وغير ذلك مما جآء في هاتين اللغتين بالسين المهملة وهو عندنا بالمعجمة . وقد تبدل الشين المعجمة فيهما ثآء عندنا كما في الثور والثكل وثمَّ بمعنى هناك واصلها في العبرية بالشين المعجمة ومن ذلك الشششلة التي توقف فيها صاحب الجمهرة قال قيل ليونس بمَ تعرف الشعر الجيد فقال بالشششلة قال الششلة ان تزن الدينار بازآء الدينار لتنظر ايهما اثقل ولا احسبهُ عربياً محضاً . اه والصحيح انهُ عبري او سرياني نقلهُ العرب بلفظه واصلهُ بشين واحدة فزادوا في اوله شيناً اخرى . وعامة الشام يقولون شقشل الشيء فيوسطون القاف بين الشينين وهو عندهم بمعنى رازهُ ومن هنا أُخذ الشاقول وهو آلة للمهندسين يزنون بها السطوح

الحروف التي ليست من حروفهم الى اقربها مخرجاً وربما ابعدوا الابدال في مثل هذه الحروف وهو لازمٌ لئلا يدخل في كلامهم ما ليس منهُ فيبدلون حرفاً بآخر ويغيرون حركتهُ ويسكنونهُ ويحركونهُ وينقصون ويزيدون ... ثم نقل عن سيبويه انهم يبدلون مكان آخر الحروف التي لا تثبت في كلامهم الجيم وذلك نحو كوسه وموزه وبنفشه اي يقولون فيها كوسج وموزج وبنفسج . وهنا كلامٌ مظلم يتخلص من جملتهِ انهم قد يبدلون من هذه الجيم قافاً فيقولون في كوسج كوسق وفي كُرَبج كُرَبق وفي كيلجة كيلقة . قلنا وربما زادوا الفاً قبل القاف كما في رُستاق معرَّب رسته وهو نادر

وجآء في مقدّمة ابن خلدون ما نصهُ بعد كلام ونجد للعبرانيين حروفاً ليست في لغتنا وفي لغتنا ايضاً حروفٌ ليست في لغتهم وكذلك الافرنج والترك والبربر وغير هؤلآء من العجم . ثم ان الكتّاب من العرب اصطلحوا في الدلالة على حروفهم المسموعة باوضاع حروفٍ مكتوبة متميزة باشخاصها كوضع الف وبآء وجيم ورآء الى آخر الثمانية والعشرين واذا عرض لهم الحرف الذي ليس من حروف لغتهم بقي مهملاً عن الدلالة الكتابية مغفلاً عن البيان وربما يرسمهُ بعض الكتاب بشكل الحرف الذي يليهِ من لغتنا قبلهُ او بعدهُ وليس ذلك بكافٍ في الدلالة بل هو تغييرٌ للحرف من اصلهِ . ولما كان كتابنا مشتملاً على اخبار البربر وبعض العجم وكانت تعرض لنا في اسمآئهم او بعض كلماتهم حروفٌ ليست من لغة كتابتنا ولا اصطلاح اوضاعنا اضطررنا الى بيانهِ ولم نكتفِ برسم الحرف الذي يليهِ فاصطلحت في كتابي هذا على ان اضع ذلك الحرف العجمي بما يدلّ على الحرفين

اللذين يكتنفانهِ ليتوسط القارئ بالنطق بهِ بين مخرجي ذينك الحرفين فتحصل تأديتهُ . وانما اقتبست ذلك من رسم اهل المصحف حروف الاشمام كالصراط في قرآءة خلَف فان النطق بصادهِ متوسط بين الصاد والزاي فوضعوا الصاد ورسموا في داخلها شكل الزاي ودلّ ذلك عندهم على التوسط بين الحرفين فكذلك رسمت انا كل حرف يتوسط بين حرفين من حروفنا كالكاف المتوسطة عند البربر بين الكاف الصريحة عندنا والجيم أو القاف مثل اسم بلكين فاضعها كافاً وانقطها بنقطة الجيم واحدةً من فوق او اثنتين فيدل ذلك على انهُ متوسط بين الكاف والجيم أو القاف .. ولو وضعناهُ برسم الحرف الواحد عن جانبيهِ لكنا قد صرفناهُ عن مخرجهِ الى مخرج الحرف الذي من لغتنا وغيّرنا لغة القوم . انتهى

هذه زبدة ما وقفنا عليهِ من كلامهم في هذا المعنى وسنردفها ان شآء الله بما يعنّ لنا من الايضاح والتفصيل مع ذكر سائر الاحكام التي يسوق اليها البحث للوصول الى تمام هذا المقصد والله الموفق الى السداد

السلّ الرئوي

لحضرة النطاسي البارع الدكتور حبيب همام

(تابع لما قبل)

وغنيٌّ عن البيان ما لهذا الداء العيآء من الفتك الذريع في جميع اقسام المعمور حتى انهُ قد يربو معدّل من يموتون بهِ عن سُبع العالم اجمع منهم شبان هذا العصر وشاباتهُ الذين وقفوا حياتهم في سبيل خدمة العلم وعليهم